(سورة الإنسان)

{ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً }

{ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً }

{ هل أتى } أي: قد أتى { على الإنسان حين من الدهر لم يكن } فيه { شيئاً مذكوراً } أي: على وجه التقرير والتقريب، أي: كان شيئاً في علم الله بل في نفس الأمر لقدم روحه ولكنه لم يذكر فيما بين الناس لكونه في عالم الغيب وعدم شعور من في عالم الشهادة به.

{ إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً }

{ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاَسِلاَ وَأَغْلاَلاً وَسَعِيراً }

{ إِنَّ ٱلأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً }

{ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً }

{ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً }

{ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً }

{ إنّا هديناه } سبيل الحق بأدلة العقل والسمع في حالتي كونه شاكراً مهتدياً مستعملاً لنعم المشاعر والآلات والوسايط فيما ينبغي أن يستعمل من الطاعات متوصلاً بها إلى المنعم { أو كفوراً } محتجباً بالنعم عن المنعم مستعملاً لها في غير ما يحب أن يستعمل من المعاصي { إنّا أعتدنا للكافرين } المحتجبين بالنعم { سلاسل } الميول والمحبات إلى المشتهيات الجسمانية الموجبة لتقيدهم بها والحرمان عن المقاصد الحقيقية في النيران وأغلال الصور والهيئات المانعة عن الحركة في طلب المراد وسعير التعذيب في قعر الطبيعة وقهر الحرمان.

{ إنّ الأبرار } أي: السعداء الذين برزوا عن حجاب الآثار والأفعال واحتجبوا بحجب الصفات غير واقفين معها بل متوجهين إلى عين الذات مع البقاء في عالم الصفات وهم المتوسطون في السلوك { يشربون من كأس } محبة حسن الصفات لا صرفاً بل كان في شرابهم مزج من لذة محبة الذات وهي العين الكافورية

المفيدة للذة برد اليقين وبياض النورية وتفريح القلب المحترق بحرارة الشوق وتقويته، فإن للكافور خاصية التبريد والتفريح والبياض. والكافور عين { يشرب بها } صرفة { عباد الله } الذين هم خاصته من أهل الوحدة الذاتية المخصوص محبتهم بعين الذات دون الصفات، لا يفرقون بين القهر واللطف والرفق والعنف والبلاء والشدة والرخاء بل تستقر محبتهم مع الأضداد وتستمر لذاتهم في النعماء والسراء والرحمة والزحمة كما قال أحدهم:

هواي له فرض تعطف أم جفا ومشربه عذب تكدّر أم صفا
وكلت إلى المحبوب أمري كله فإن شاء أحياني وإن شاء أتلفا

وأما الأبرار فلما كانوا يحبون المنعم واللطيف والرحيم لم تبق محبتهم عند تجلي القهار والمبلي والمنتقم بحالها ولا لذتهم بل يكرهون ذلك { يفجرونها تفجيراً } لأنهم منابعها لا اثنينية ثمة ولا غيرية، وإلا لم يكن كافور الظلمة حجاب الأنائية والاثنينية وسواده.

{ يوفون بالنذر } أي:الأبرار يوفون العهد الذي كان بينهم وبين الله صبيحة يوم الأزل بأنهم إذا وجدوا التمكن بالآلات والأسباب أبرزوا ما في مكامن استعداداتهم وغيوب فطرتهم من الحقائق والمعارف والعلوم والفضائل وأخرجوها إلى الفعل بالتزكية والتصفية { ويخافون } يوم تجلي صفة القهر والسخط والانتقام لكونهم وصفيين { يوماً كان شرّه } فاشياً منتشراً بالغاً أقصى المبالغ باستيلاء الهيئات المظلمة والحجب الساترة للنور من صفات النفس على القلب وهو نهاية مبالغ الشرّ.

{ ويطعمون الطعام على حبّه } أي: يتجرّدون عن المنافع المالية ويزكون أنفسهم عن الرذائل خصوصاً عن الشحّ لكون محبة المال أكثف الحجب فيتصفون بفضيلة الإيثار ويطعمون الطعام في حالة احتياجهم إليه لسدّ خلّه جوع من يستحقه، ويؤثرون به غيرهم على أنفسهم كما هو المشهور من قصة علي وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام في شأن نزول الآية من الإيثار بالفطور على المستحقين الثلاثة والصبر على الجوع والصوم ثلاثة أيام أو يزكون أنفسهم عن رذيلة الجهل فيطعمون الطعام الروحاني من الحكم والشرائع مع كونه محبوباً في نفسه على حبّ الله المسكين الدائم السكون إلى تراب البدن واليتيم المنقطع عن تربية أبيه الحقيقي الذي هو روح القدس والأسير المحبوس في أسر الطبيعة وقيود صفات النفس.

{ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلاَ شُكُوراً }

{ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً }

{ فَوَقَٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَومِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً }

{ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيراً }

{ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَىٰ ٱلأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً }

{ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً }

{ إنما نطعمكم لوجه الله } أي: قائلين في أنفسهم ذلك، ناوين بالإطعام رضا الله، فإن الأبرار يقصدون الخيرات مراضي الله لا الثواب لكونهم بارزين عن حجاب الأفعال إلى الصفات أو لذات الله ومحبتها إذ الوجه عبارة عن الذات مع الصفات لكونهم سالكين سائرين في بيداء الصفات إلى مقصد الذات، غير واقفين معها { لا نريد منكم جزاء } مكافأة { ولا شكوراً } وثناء لعدم احتجابنا بالأغراض والأعراض.

{ إنّا نخاف من ربّنا } يوم تجلي السخط والغضب وظهوره في صفة العبوس والقهر { فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم } بتجليه في صورة الرضا واللطف { ولقاهم } نضرة الرضوان وسرور النعيم الدائم { وجزاهم } بصبرهم عن اللذات النفسانية والتزيينات الشيطانية في جنان الأفعال مع أنوار الصفات جنة الذات وحرير ملابس الصفات الإلهية النورانية اللطيفة.

{ مُتكئين } في تلك الجنة على أرائك الأسماء التي هي الذات مع الصفات بحسب مقاماتهم ومراتبهم ودرجاتهم منها { لا يرون فيها } شمس حرارة الشوق إليها مع الحرمان ولا زمهرير برودة الوقوف مع الأكوان، فإن الوقوف مع الكون برد قاسر وثقل عاصر.

{ ودانية عليهم } ظلال الصفات قريبة منهم ساترة إياهم لاتصافهم بها وكونهم في روحها { وذللت } لهم { قطوفها } من ثمارعلوم توحيد الذات وتوحيد الصفات والأحوال والمواهب { تذليلاً } تاماً كلما شاؤوا جنوها وتلذذوا وتفكهوا بها.

{ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ }

{ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً }

{ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً }

{ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً }

{ ويطاف عليهم بآنية من فضة } هي مظاهر حسن الصفات من محاسن الصور وكونها من فضة نوريتها وبياضها وزينتها وبهاؤها { وأكواب } من صور أوصاف المجردات اللطيفة والجواهر المقدسة لكونها بلا عرى التعلق بالمواد فلا يمكن قبضها بالعرى من غير الاتصال بذواتها ولكونها من عالم الغيب لم تكن مكشوفة الرأس كالأواني { كانت قوارير } لصفائها وتلألؤ نور الذات من ورائها، وكما قال في تشبيه القلب بالزجاجة:

{ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ } [النور، الآية:٣٥]

أي: في صفاء الزجاجة وضياء الكوكب فكذلك ها هنا قال: { قوارير من فضة } أي: هي في صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة وبريقها { قدّروها تقديراً } أي: على حسب استعداداتهم ومبالغ ربهم على قدر أشواقهم وإرادتهم كما قدّروا في أنفسهم وجدوها كما قيل: لا تغيض ولا تفيض.

{ ويسقون فيها كأساً كان مزاجها } زنجبيل لذة الاشتياق، فإنهم لا شوق لهم ليكون شرابهم الزنجبيل الصرف الذي هو غاية حرارة الطلب لوصولهم، ولكن لهم الاشتياق للسير في الصفات وامتناع وصولهم على جميعها فلا تصفو محبتهم من لذة حرارة الطلب كما صفت لذة محبة المستغرقين في عين جميع الذات فكان شرابهم العين الكافورية الصرفة { عيناً } بدل من زنجبيلاً أي: هو عين في الجنة لكون حرارة الشوق عين المحبة الناشئة من منبع الوحدة مع الهجران { تسمى سلسبيلاً } لسلاستها في الحلق وذوقها.

فإن العشاق المهجورين الطالبين السالكين سبيل الوصال في ذوق وسكر من حرارة عشقهم لا يقاس به ذوق.

{ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً }
{ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً }
{ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّواْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ
وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً }
{ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً }

{ ويطوف عليهم ولدان مخلدون } من فيوض الأسماء الإلهية المتجلية عليهم في عالم القدس وهي الأنوار الملكوتية والجبروتية المنكشفة عليهم في حضرات الصفات وجناتها ولو كانت جنانهم من جنان الأفعال لطافت عليهم الحور مكان الولدان، لأن الأسماء مؤثرة في الأفعال والصفات مصادرها ومبادئ الآثار والهيئات وكونهم مخلّدين بقاؤهم على التجرّد أبداً

{ إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً } لنوريتهم وصفائهم وبساطة جواهرهم.

{ عاليهم ثياب سندس خضر } أي: تعلوهم ملابس سندس الأحوال والمواهب اللطيفة من أنوار الصفات البهيجة. والخضرة عبارة عن البهجة والنضرة وإستبرق الاخلاق الإلهية { وحلوا أساور من فضة } أي: زينوا بزينة المعاني المعقولة المنوّرة بنور الوجدان { وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً } من لذة محبة الذات والعشق الحقيقي الصرف الصافي عن كدر الغيرية واثنينية الصفات الطاهر عن دنس ظهور الأنائية والبقية.

{ إنّ هذا } المذكور من الجنة والأواني والولدان والشراب { كان لكم جزاء } لقيامكم بحق تجليات الصفات { وكان سعيكم } من الأعمال القلبية في مقامها كالخشية والهيبة عند تجلي العظمة والخضوع والأنس عند تلجي صفة الرحمة والإخلاص في طلب تجلي الوحدة وأمثال ذلك { مشكوراً } بهذا الجزاء.

{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ تَنزِيلاً }
{ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً }
{ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً }
{ وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً }
{ إِنَّ هَـٰؤُلاَءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً }
{ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً }

{ إنّا نحن نزلنا عليك القرآن } بذاتنا دون من عدانا { فاصبر لحكم } التجلي الأحدي الذاتي في مقام الفناء مع بلاء ظهور الأنائية والبقية، فإن الربّ في مقام نزول الصفات هو الذات وحدها { ولا تطع منهم آثماً } محتجباً بالصفات والأحوال أو بذاته عن الذات وبصفات نفسه وهيئاتها عن الصفات { أو كفوراً } محتجباً بالأفعال والآثار واقفاً معها بأفعاله ومكسوباته عن الأفعال فتحتجب بموافقتهم.

{ واذكر اسم ربّك } أي: ذاتك الذي هو الاسم الأعظم من أسمائه بالقيام بحقوقه وإظهار كمالاته { بكرة وأصيلاً } في المبدأ والمنتهى بالصفات الفطرية من وقت طلوع النور الإلهي بإيجادها في الأزل وإيداع كمالاته فيها وغروبه بتعيينها واحتجابه بها وإظهارها مع كمالاتها.

{ ومن الليل } وخصص مقام النفس أو القلب حال البقاء بعد الفناء والرجوع إلى الخلق للتشريع بسجود الفناء والعبادة الحقانية فإن الدعوة لا تمكن إلا بحجاب القلب ووجود النفس { فاسجد له } سجود الفناء برؤية بقاء نفسك بالحق وفناء البشرية بالكلية فتكون موجوداً به لا بها، ونزّهه عن المعيّة والاثنينية والأنائية وظهور البقية { ليلاً طويلاً } بقاء دائماً أبديّاً ما دمت في ذلك المقام.

{ إنّ هؤلاء } أي: المحتجبين بالآثار والأفعال أو الصفات { يحبّون العاجلة } أي: شاهدهم الحاضر من الذوق الناقص { ويذرون وراءهم } يوم التجلي الذاتي، أي: القيامة الكبرى الشاق المعتبر الذي لا يحتمله أحد.

{ نحن خلقناهم } بتعيين استعداداتهم { وشددنا أسرهم } قوّيناهم بالميثاق الأزلي والاتصال الحقيقي { وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم } بأن نسلب أفعالهم بأفعالنا ونمحو صفاتهم بصفاتنا، ونفني ذواتهم بذواتنا فيكون أبدالاً.

{ إِنَّ هَـٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً }

{ وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً }

{ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ وَٱلظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً }

{ إنّ هذه } تذكير لسلوك طريقي والسير فيّ { فمن شاء اتّخذ } سبيلاً إليّ { وما تشاؤون إلاّ } بمشيئتي بأن أريدهم فيريدوني فتكون إرادتهم مسبوقة بإرادتي، بل عين إرادتي الظاهرة في مظاهرهم { إنّ الله كان عليماً } بما أودع فيهم من العلوم { حكيماً } بكيفية إيداعها وإبرازها فيهم بإظهار كمالهم. { يدخل من يشاء في رحمته } بإفاضة ذلك الكمال المودع فيه عليه وإظهاره { والظالمين } الباخسين حقهم الناقصين حظهم منها بالاحتجاب عنها، أو الواضعين نور فطرتهم الذي هو النور الإلهي الأصلي الحاصل من اسمه المبدىء في غير موضعه من محبة الأنداد والاحتجاب بالآثار وعبادة الأغيار { أعدّ لهم عذاباً } بالوقف على الربّ لوقوفهم مع الغير ثم على النار لوقوفهم مع الآثار مؤلماً إيلاماً شديداً.